

ذكريات مع الشهيد كمال عدوان

كان لاستشهاد الأخ عبد الفتاح حمود مهندس البترول الذي تفرغ عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح مسؤولاً عن إقليم الأردن أثره الكبير على نفسية وموقف صديق عمره وزميله في العمل والتخصص مهندس البترول كمال عدوان.

وكان الفراغ الذي تركه الأخ عبد الفتاح يقتضي بتعبئته بقائد يعطيه حقه وخاصة ان وفاته تمت قبل أيام من اندلاع معركة الكرامة. ولذلك في الثامن والعشرين من شباط عام 1968.

كنت يومها اعمل مهندسا في سلطة المياه المركزية في عمان ومسؤولاً عن قسم المياه الجوفية وفي نفس الوقت كنت مسؤولاً عن تنظيم الحركة في منطقة عمان. وقد رأيت الحركة ان تحضر احد قياداتها المؤسسة من إقليم قطر او إقليم الكويت لتسلم مسؤولية إقليم الأردن. وقد حضر لهذه المهمة الأخ علي الحسن من إقليم الكويت وحضر من إقليم قطر الأخ كمال عدوان وكان الأخ أبو ماهر غنيم هو الذي يدير الإقليم كعمد بعد استشهاد عبد الفتاح حمود. وبعد ان غادر في صيف 1968، الى دورة في الصين تسلم المسؤولية الأخ صبري البنا أبو نضال حيث أصبحت عضواً في لجنة الإقليم المصغرة التي ضمت صبري البنا، محمد الأعرج، حسني يونس، سميح أبو كويك (قدري)، حسن الدجني. وعندما طرح اسم كمال عدوان لاستلام عمادة الإقليم بدأنا السؤال (من هو كمال عدوان؟)

وفي اجتماع لجنة الإقليم طرح موضوع الإخوة القادمين من الخليج

ليتسلموا مسؤولية القيادة. وبدا الإخوة ينظرون الى هذه الظاهرة بشكل غير محبب. وعندما طرح التساؤل حول كمال عدوان ومن هو انبرى الاخوة الذين يعرفونه او يسمعون عنه للحديث وكان منهم الأخ محمد الأعرج (أبو الرائد) ومهندس البترول حسني يونس وكذلك صبري البنا. لم تخرج كلمة ذم تجاه الرجل ولكنهم جميعا اجمعوا على اعتزازه وثقته بنفسه بشكل كبير الى درجة العناد.

وانه جريء لا يخشى في الحق لومة لائم. وذكروا كيف دخل المجلس الوطني الفلسطيني يوم انعقاده الأول في 28 أيار من عام 1964 ولم يكن اسمه مدرجا كعضو فيه ليفرض عضويته على المجلس وكان التحفظ الوحيد عند هؤلاء الاخوة هو كونه يأتي من الخارج بعد معركة الكرامة وبدأت نبرة القيادات المستوردة تطرح بشكل هامس من خلال بعض الاخوة. تشكلت لدي صورة عن هذا الرجل قبل ان أراه وعندما علمت انه وصل الى عمان صرت تواقا الى لقائه.

كانت مؤسسة اسر الشهداء في طور التشكيل وكان لها مكتب في جبل اللويبة مسؤولا عنه الأخ المختار نعيم. وذات مساء ونحن في غرفة اجتماع المكتب فتح الباب واطل منه كمال عدوان. كانت هي أول مرة أرى فيها وجهه.

استعرض الحاضرين الذين لم يكن معظمهم يعرفون من هو. وخرجت من فمه كلمة مرحبا ببطء شديد ثم سأل وين الأخ صخر؟ نظرت اليه وقلت بعفوية شديدة وكأني اعرفه منذ زمن. أهلا أخ كمال.. تفضل.

قمت باتجاه الباب تاركا له مجال الجلوس ليشاركنا. ولكنه اعتذر قائلا

انه يريد الحديث معي للحظات اذا كان الوقت يسمح. وافقت وخرجت معه الى ساحة المكتب وسألته.. الى اين تريد ان نذهب؟ قال انه يريد الحديث عن طريقة زمان خلال الكسدرية في الشارع.

صعدت الدرج الى الشارع وكانت سيارتي قريبة من المدخل. فتحت باب السيارة وقلت له نتحدث داخل السيارة. قال: أفضل الحديث خلال المشي قلت هذه عمان وليست قطر الجميع يعرفوننا. دخل الى جانبي في السيارة وعندما أدت مفتاح السيارة للإقلاع قال أرجوك نتحدث ونحن هنا واستطرد:

لقد قالوا لي جميعهم ان ابدأ بالحديث معك لأنك حتما ستصدقني القول وتعطيني الصورة الواضحة عن وضع الإقليم والحركة. سألته: من هم جميعهم هؤلاء؟.

قال: أبو جهاد، أبو اللطف.

قلت: هذا يشرفني ويسعدني

ولم يكن جلوسي في السيارة مريحا لي حيث بدا المارون والداخلون الى مكتب اسر الشهداء يرمقوننا بنظرات جعلتني أتجاهل احتجاجه وأدير مفتاح السيارة وانطلق مسرعا.

- لا بأس من جولة في شوارع المدينة تتعرف عليها واستمع اليك وتستمع الي.. وانا بانتظار الأسئلة التي تريد طرحها.

- قال باسم: يبدو انك عنيد مثل ما يقولون عني. وهذه بداية طيبة.

- سؤالي الأول والمباشر: هل ترى فائدة في ان اقبل مسؤولية الإشراف على الإقليم وهو اليوم أهم أقاليم الحركة؟.

- قلت: لاشك انه الأهم ولكن معتمد الإقليم ليس هو الأهم القيادة المركزية التي يمثلها الأخ أبو عمار وأبو جهاد وأبو أياد وأبو لطف

الى جانب القيادة العسكرية حيث أبو صبري وأبو علي أياد وامتداداتهم داخل الإقليم ستجعل مهمة مسؤول الإقليم ثانوية رغم أهميتها. المجال الذي يمكن الإبداع فيه الان هو مجال الإعلام الملتزم والذي يمكن ان ينقل الصورة الحقيقية والايجابية للجماهير. هناك فراغ إعلامي وتسود رائحة الإعلان والترويج والمبالغة على حقيقة الدور النضالي. وعرجت أثناء الحديث عن دوره القديم في مجال الإعلام وسألته: ما هي طبيعة علاقتك في البيان الأول لقوات العاصفة. هل تذكر ذلك؟

سألني مستغربا: وهل تعرفون عن علاقتي بالبيان وبالانطلاقة؟. قلت: منذ ان طرح اسمك للتفرغ بدأنا التنبيش عن الماضي وتاريخ التجربة سواء أمام الإخوان المسلمين في غزة والقاهرة وبعد العدوان الثلاثي.. وتجربة الكفاح المسلح مع أبو جهاد ومحمد العايدي وعن اللجنة الثلاثية التي تشكلت في قطر بعد فشل عملية الانطلاقة الأولى في آب 1964، وقبول الأخ أبو عمار بالعمل تحت إشراف أبو يوسف النجار على ان تتولى انت الإعلام حول الانطلاقة بعيدا عن ذكر فتح في الإعلام والتركيز على قوات العاصفة وأكدت له ان صورته لدى الأخ أبو جهاد أكثر وضوحا منها لدى الآخرين.

كان مرتاحا للحديث وكنت وقد قطعت مسافة طويلة بعيدا عن منطقة اللويبة متوجها نحو الشميساني قد قررت ان أدعو هذا الرجل الى العشاء.. قلت له:
- اعتقد انك جائع مثلي؟.

- لا.. لا انا لست جائعا ولا أريد الذهاب خارج السيارة. قلت له بهدوء
- أريد ان تزور مكانا يهكم.. ويساعدك في المستقبل لتسهيل العمل.
- أي مكان هذا؟.
- نقابة المهندسين.. لابد من ان نسجلك عضوا في النقابة حتى تتعرف وتؤثر على هذه الطبقة من زملائك.
- كنا قد وصلنا الى مقر اتحاد جمعية النقابات حيث نقابة المهندسين وحيث هنالك صديقي يانس الذي يقدم أطيب وجبات المسخن ي عمان كلها.

لحظات وجد كمال نفسه غارقا في طبق المسخن الشهوي وهو يردد: سأخذ بنصيحتك وأتمسك بفكرة الإعلام ولكن أريدك ان تساعدني في اختيار اسم حركي للعمل تحت غطاءه ولا بد ان استخدم اسم أبو فلان. أريد اسما مثل اسمك.. مثل صخر.. قلت له معك حق فالكثيرون عندما يحاولون السخرية يتحدثون عن الابوات ليس بفتح الباء وانما بتسكينها.. ضحك وكانت هذه أول مرة أراه يضحك.. في اليوم التالي قلت له جادا لقد وقع اختياري على اسم حركي لك هو الأكثر مناسبة.

قال ببرود.. ما هو؟ قلت كمال عدوان

قال مستغربا: نعم ماذا تعني

قلت الاسم الحركي يصلح للعمل السري وليس هناك إعلام سري ومع ذلك فانهم سيعتبرون اسم كمال عدوان اسمك الحركي وسيبدأون البحث عن اسمك الحقيقي وقبيلة عدوان

قبيلة مشهورة في هذا البلد وسيشرفها ان يسطع في سماء
مرحلة إزالة آثار العدوان اسم كمال عدوان.